



الخلقة: (77)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (2)

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة بهذا الوعد من الأصغر، بالالتفات إلى حق الأكبر في الأخذ، خاصة حين يكبر من أخذوا منه إلى درجة تقارب ما وصل إليه، درجة يستطيعون معها أن يعطوه بدورهم.

بكره حاجتي ثمرة كدك،

لما نكبر نبقي قدك! !

كما ناقشت في نفس الحلقة أن ما وصلني منهم بدا لي كأجيلا خادعا يجرمني من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية "نبقى قدك" هذه إنما تشير إلى تصور أن مسار التضج هو مثل سنوات الدراسة، سنة أولى، سنة ثانية، سنة ثالثة ..إخ، وكان الرد في الحلقة السابقة هو أنه ليس لي "قد" حتى يقاس عليه

- وأنا مالي قد، .. ومالي حد.

خايف لاتكون الحاره سد.

وناقشت في نفس الحلقة أن ما وصلني هو تأجيل خادع قد

يُجرمني من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية أنه ليس لى مقاس ("قد")، يقاس عليه،

ولكن ما باليد حيلة: فلتبدأ رحلة الصبر، أو تستمر رحلة الصبر، دون التنازل عن حقى الضعف، مع التنبيه الواضح أنها مسألة وقت

والصبر مرارا!

وانا مش رافض أشرب كاسه .

على شرط يكون للكاس دا قرار .

واستحمل طول الليل عُلى،

على شرط الليل ييجى بعده نهار .

الفقرة التالية لا تحتاج إلى شرح خاص،

والصحرا بنزرع فيها الصبر،

تطرح حرمان .

نسقيه من طولة البال،

وبنحدي كلام ونقول موال:

"جمل الخامل برك شممت لعادى فيه"

لكنهم ظلوا يصرون على أن الجمل لم يبرك، بل وأنه ليس من حقه أن يشكو أصلاً، وهو يصير أنه ليس إلا شخصاً عادياً كما شرحنا في الحلقة السابقة. الطبيب النفسى هو مهنى عادى تماماً، أى تقديس للمهنة، أو مبالغة فى القدرة، هو إعاقة له فى مهنته، ناقشنا من قبل مسألة نجومية الطبيب النفسى ودور الإعلام السلبى فيها وما يؤدى إليه ذلك من خلط الأدوار، وهذا لا يتم فقط على حساب موضوعية العلاج النفسى، وإنما أيضاً على حساب فرص الطبيب النفسى أو المعالج النفسى فى نموه الشخصى، الشخص العادى هو الشخص العادى، وهو القادر على النمو العادى، مسألة التميز والعبقرية ليست غاية فى ذاتها، المتصوف الحقيقى هو الذى لا يعود اسمه كذلك، وبوذا نفسه بعد أن دار دورته لم يقبل أن يعترف أنه حقق رحلته إلا حين لم يصبح بوذا كما صورها لنا سماته القدة وسيرة حياته الفريدة.

التأكيد على حق الطبيب النفسى، أو المعالج النفسى أن يكون شخصاً عادياً يرد فى الفقرة التالية رداً على اعتراضهم على شكواه، أو على أنه برك تحت أماله (وبالذات حملهم لهؤلاء المعترضين المعتمدين) فهو يرد على اعتراضهم بالمطالبة بأبسط حقوقه العادية: "ماهو نفسه يعيش زى العايشين"

= جمل الخامل لايشكى .. ولا يقول آه

- ليه يعنى بقى؟

ما هو نفسه يعيش، زى العايشين؟

فيردون هم أكثر حدة، ورفضاً:

= ما هو عايش اهه، إسم الله عليه.

بيقول ويعيد، ونرد عليه،

بيشيل فى هموم، وفأ غلب الناس،

وحياخد إيه غير وجع الراس،

من زن الحاجة ومد إيديه؟

الذى حدث أثناء هذا اللقاء الذى أثار كل هذا الحوار وأخرج هذه القصيدة هو أن إحداهن قالت له بوضوح شديد أنهم لو استجابوا له، واحترموا حقه، فإنه لن يتذوقه ولن يستفيد منه كما يتصور هو ويطلب، وكانت من أقرب القريبات إليه، وكانت تعنى أنه لم يعتد الأخذ، ولم يستطعم حناناً حقيقياً من قبل، كما فعلوا هم من خلال اعتمادهم عليه، أو على غيره، وبالتالي فهم إذا قبلوه بينهم عادياً كواحد منهم، فهذا لن يرويه، فهو- ربما من إزمان الحرمان نتيجة لاستمرار نفس الدور على أساس الوهم أنه قد حقق درجة أعلى من النضج- لن يجدى معه عطاء، خاصة من تعودوا الأخذ منه، استشهدت هذه الصديقة بالمثل القائل: "إطعم مطعوم، ولا تطعم محروم"،

وأذكر أن هذا الاستشهاد قد لاج لى كأنه قرار جارح بأن لا أستحق ما أطلب اصلاً.

كنت قد ناقشت هذا المثل من قبل، -في هذه النشرات أو غيرها- ونهبت إلى احتمال أن يكون له معنى آخر غير القسوة التى تبدو فى ظاهره، وهو أن المحروم جداً، إذا ما بدأ حرمانه من فترة باكرة، واستمر حتى أصبح هو "نوع وجوده"، فإنه يحتاج إلى نوع آخر من العطاء، غير مجرد إشباع الجوع، وقد شبت قسوة الحرمان التى يترتب عليها هذا العجز عن الارتواء، بالوجود المثقوب، الذى كلما ملأته بما يستحق أن يُملاً به يتسرب ما وضعته فيه من "تقب الحرمان المزمّن"، وبالتالي، مرة أخرى يصيح مثل من يشرب الماء المالح/ كلما شرب ازداد عطشاً.

ثرت أكثر على هذا الموقف، وأن يكون حرمانى من دور "الشخص العادى"، هو ميرر لمزيد من الحرمان، وأن أستمر فى هملم (جمل الهامل) بقية عمرى، وهذا ما جاء فى المتن فى الفقرة التالية تفسيرا للمثل المستشهد به،

هل معنى أن تمتنع عن إطعام المحروم الذى تتصور أنه لا يشبع أن يصبح حرمانه قدراً أبدياً بلا ذنب جناه، إلا أنه أجل حقه حتى يكبر من حوله بما يسمح له أن يأخذ بدوره؟

هذا ما جاء -احتجاجاً- فى الفقرة التالية:

-كده برضه ياناس؟!!

بعد دا كله ؟ الحق عليه!!!
 بقى دا اسمه تتمثلوا بيه!!!
 قال إيه ، قال إيه :
 = إيش يفهم فى الغنوة الأطرش؟
 إيش يفهم فى الصورة الأعمى؟
 إيش يفهم محروم من يومه ،
 فى الحنية والملاغية؟
 "إطعم مطعوم، يستطعم
 أما المحروم، يستحمل"

وصلنى أن هذا الاستحمال هو وجه آخر للصبر الختمى المفروض والتأجيل إلى مالا أعرف..مى.. إلى متى؟

أذكر أننى طرحت عليهم هذا السؤال بشكل مباشر أو غير مباشر، فجاء فى الرد، ربما من نفس التى استشهدت بالمثل السالف الذكر "أنه: كل آت قريب (ما خلاص هانت)، أو لعلها أشارت: "سوف نقول لك، حين نرى الوقت مناسباً" أو شئ من هذا القبيل، وأنها تساءلت: لماذا الاستعجال (ما تتركبهاش على مهلك، وسعيده وحابقى اندهلك)،

وينتبه إلى أن التأجيل والاستحمال يفرضان عليه فرضاً وبشكل دائم:

- يستحمل تانى يا ناس؟ دا حرام!
 =ما خلاص هانت.
 -لأ ما هانتشى .. إيش عرفنى؟
 مش يمكن لعبة "إستى" تفضل على طول؟
 على ما يحصلنى الدور حاخلص.
 القلب مقدد.
 والجرح ممدد.
 فى الأرض الشوك،
 والميه عصير صبار.
 =ما تتركبهاش؛ على مهلك
 و"سعيده" وحابقى اندهلك!!!

وإلى الحلقة القادمة والأخيرة فى هذه القصيدة الشخصية المزعجة (لى حتى الآن)،

كنت أحسب أنها لم تعد كذلك!!!
 وإلى الحلقة الأخيرة الأسبوع القادم.